

حديث الروح

أبرار بنت فهد القاسم

حديث الروح

طبعة مزيدة ومنقحة

بسم الله الرحمن الرحيم

خلجاتُ هدْهَدْت عرش قلبي...
وسار صداها في أرجاء جسدي...
لينطق قلمي مترجماً لحديث روحي بكلمات
استلهمها من وحي الرحم، حيث الأفئدة الأبية
على عتبة العبودية
سائلة المولى القدير أن يسري حديث روحى
لأرواحكم النقية...
وأن يجعل لحروفي القبول والنفع.

أبرار بنت فهد القاسم

١٤٣٢/٤/٩هـ

إهداء

إلى ممطرة روحي بأعذب الخلال:

أمي الحبيبة – رعاها الله –

إلى مربي روحي بأسمى الخصال:

أبي الحبيب – حماه الله –

أهديكما حديث روحي، فلقد كنتما خير معين لي في إخراجه بعد توفيق ربي ..

ابنتكما : أبرار..

شكر وعرفان

عبارات الشكر والامتنان تسير لتقف بين يديك خجلى أمام ما بذلته لي أستاذتي الأثيرة: فوزية الزامل .. فلئن باعدت الدنيا بيننا وانقطع عني خبرك، فلساني مازال يدعو لك، وقلبي يعترف بفضلك حين اقتطعتِ من وقتك لتعليمي، وتقويم باكورة ما خطته أناملي في مرحلة الثانوي، وتشجيعي لأبقي قلمي في ساحة الكتابة الأدبية، فلك معلمتي من الشكر أجزله ، ومن الدعاء أصدقه، وأوفاه ..

تلميذتك التي تحن لذكراك
كلما مر بها طيف الثانوية الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

أبلـغ الكتب هو الذي يمطر روحـك بفيوضات جديدة لا عهـد لها بها .. وأقدر المؤلفـين تأثيراً من غمس قلمه فـي مداد تجلياته الإيمانية فأجاد في عرضها ليزرعها ببراعته بين جوانحك وكأنك أنت صاحبها .. لقد أحسست بعد فراغي من هذا الكتاب أنه سكب في وجداني أنهاراً مكية .. انبجست من حمى الحرم .. فحلقت روحي صوب مغناطيس القلوب أطوف بها ذاكراً لاثماً ماسـحاً وكم أدهشـني «حديث الروح» لأن تجلياته وفيوضاته نسـجتها أنامل كاتبة واعدة تنتظرها السـاحة العلمية والدعوية بشوق وشغف لتملأ فراغاً لا يسده إلا أمثالها.

أ. د. خالد بن منصور الدريس
أستاذ الحديث وعلومه بقسم الثقافة الإسلامية
جامعة الملك سعود. الرياض.

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد سرني ما خطه بنانك – وفقك الله – وسرني ما وجدته فيه من خواطر إيمانية رائعة ، وبأسلوب واضح بسيط وكم يسعدني جداً أن أجد من طالباتنا من تساهم بقلمها بمثل هذه المقالات، وتكون متميزة في هذا الجانب إضافة إلى تميزها في تخصصها العلمي، ونحسب أنك منهن ، ولا نزكي على الله أحداً نفع الله بك أينما كنت وزادك علماً وعملاً فيما يرضى الله عز وجل ورزقنا وإياك الإخلاص في القول والعمل.

أ . د . محمد بن تركي التركي
أستاذ الحديث وعلومه قسم الثقافة الإسلامية
جامعة الملك سعود . الرياض.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين: فقد شرفت بقراءة ما خطته يد تلميذتي النجيبة، وصديقتي العزيزة: أبرار بنت فهد القاسم - وفقها الله - فألفيته نافعا مؤثرا، ربطت فيه آيات كتاب الله وصحيح سنة رسول الله ﷺ بواقع الحياة، فيه لفتات عميقة لحقائق دقيقة، ينتبه إليها من ينظر بعين البصيرة لا البصر، مستتنة في ذلك برسول الله ﷺ الذي كان حريصا على ربط ما يشاهده الناس بما سيعيشونه في الآخرة، كما ثبت عند البزار من حديث أنس وأصله في الصحيحين: أن أكيدر الدّومة بعث إلى رسول الله ﷺ جبة سندس، فلبسها رسول الله ﷺ، فتعجب الناس منها، فقال رسول الله ﷺ: (أتعجبون من هذه؟ فو الذي نفسي بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها) وأحاديث كثيرة يضيق المقال عن إيرادها، وكان كتابها بحق حديث للروح، فجزاها الله عني خيرا على ما أفادتني به، ونفعها بما علمها ونفع المسلمين بها.

كتبته: نوال بنت عبد العزيز العيد

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن. الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على الهادي الأمين المبعوث رحمة للعالمين..

حقاً إنه حديث الروح الذي سرت معانيه إلى روحي،
حتى كأني التي عايشت الحديث بجسدي و روحي معاً.

كلمات صادقة.. وعبارات موجزة.. ومواقف رائعة.. كان لها أبعادها الوعظية والتربوية ... تنوعت في الموضوعات من الرضا بالقضاء، إلى بر الوالدين، إلى تصوير حالنا يوم العرض من وحي أحداث الحج، ونعمة القراءة التي لا نشعر بها ، وبيان لزوم المرأة للحياء حتى في عبادتها، وجعلت مسك الختام لهذا الحديث أفضل الدعاء والذكر: لا إله إلا الله؛ جعل الله خاتمتنا عليه. وتنوع البطل لكل موقف بين مواقف شخصية، ومواقف تأملتيها ؛ فاستخرجت منها الثمار، وهذا حال المؤمن الكيس الذي لا تمر عليه المواقف دون تأمل وانتفاع. صغتيها في إطار قشيب – في اللفظ والمعنى– وفقت لاختياره بفضل الله بعناية، جميل في مبناه وسهولة معناه.. وأخرجتيه في صورة مشوقة حتى أن القارئ لا يكاد أن ينته من موقف إلا ويشتاق لتأمل الموقف الثاني والعيش معه.. ولا عجب في ذلك؛ فالكاتبة لهذا الحديث هي أبرار عهدتها طالبة متميزة حريصة سؤول، افخر إنها كانت في يوم من الأيام من طالباتي.. فهنيئاً لي بها. ختاماً: من المعاني الرائعة التي تأملتها في كتابتك حرصك على إظهار أثر

بيئتــك وفضل والديك عليــك وبرك بهما في مواضع ذكرهمــا بالدعاء وبيان الفضل.. فالله أســأل أن يســددك وأن ينفع بهذا الكتيب من كتبه ومن قرأه ،، وأن يثقل به ميزانك وموازين والديك ويطيل في عمريهما على طاعة وعافية.. وينفع بك الإسلام والمسلمين ..

أختك ومحبتك: ابتسام بنت عبدالمحسن الجريسي

أستاذ الفقه المساعد

بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن. الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

حديث الروح من أصدق الأحاديث، فكيف إذا كان في خير أرض على وجه الأرض.

آه يا مكة يا مهبط الوحي الذي ما زلنا نشتاق إليه
آه يا مهبط الأفئدة والأرواح
هنيئا لك يا روح هذا المستراح

الكتابة كانت فياضة، وما زلت أعيش في ظلال بعضها، لاسيما قصة (أشتهي أن أقرأ) أحيت فيني مواتا..

لا تَرِبَتْ يمينك، جعلك الله عالمة ربانية.

أ. إقبال بنت علي العنزي
معلمة بوزارة الأوقاف الكويتية «مراكز الأترجة»

بسم الله الرحمن الرحيم

سرت روحي محلقة في مدارج العبودية، التي فتحت كلماتك أبوابها..

الله أسأل أن يجعلك مباركة أينما كنت، وأن تكوني لديه من المصطفين الأخيار الأبرار، وأن يجعل لك من اسمك أوفى نصيب.

أ. نورة بنت محمد آل رشيد

موجهة فنية قسم التجويد بوزارة الأوقاف الكويتية

بسم الله الرحمن الرحيم

كتيّب معدود ورقاته بالغ النفع في أنه صدر من قلب صادق يحب الخير لغيره، يوقظ في الإنسان معانٍ غفل عنها، وأخصُّها استشعار قدرة الله تعالى وحكمته وتدبيره للمؤمن، الكاتبة جزاها الله خيرا ما توانت أن تصدق القول فيما شعرت في كل موقف وما ذاك في ظني إلا لتوصل لكل من يقرأ هذا الكتيب رسالة رائعة وصادقة ألا وهي حديث الروح كما هي العنونة، فحدِّث روحك واستمع لحديثها وتفكّر! أسألُ الله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة وينفع بالكاتبة ويوفقها لخيري الدنيا والآخرة.

اللهم آمين.

مريم سرطاوي
هندسة كيميائية
المملكة الأردنية الهاشمية



يارب زوجني

يطوف المسلمون حول الكعبة في خشوعٍ وخضوع ..

مابين باكٍ، وتائب، ونادم يسأل الله أن يقبله ويُدْنيه ويُقَرِّبه ويعتقه..

ومكروبٌ يسأله تفريج الكرب..

ومهمومٌ يسأله تنفيس الهم..

ومُبتلى يسأله العافية..

وسعيدٌ يسأله دوامُ الراحةِ، ويستعيذ من فجأة النقمة وتقلُّبِ الأحوال..

في هذا الجو الخاشع المهيب يرتفعُ صوتُ امرأةٍ لَيقطَعَ على الخاشعين خشوعهم؛

ولِيُشَوِّشَ على الداعِين تركيزهم.

وهي تدعو بأعلى صوتها « **يارب زوِّجني فلان ...**» - أحد أئمة الحرم- الناظر لهيئتها يبتسم طويلاً ويقول في نفسه: لو دعت بِحْسنُ الخاتمة، وخير الدّارَيْن لكان أوْلى!! امرأةٌ عربيةٌ كاشِفَةٌ الوَجْه، كبيرةٌ في السِّن، غيّر الشّحْمُ الكثيف ملامحها، ما تملك من الجمال الظاهر شيئاً سوى سلامة الأعضاء، زِيُّها زِيُّ فلاّحات،

يغلب عليها الجهل، يظهر ذلك من إزعاجها للطائفين، ومن تضييقها في دعوتها.. وتدعو الله أن يزوجها إمام الحرم المكي الدكتور فلان من العائلة الفلانية المتشددة في النسب، ولا تقبل بالتزويج من خارج مدينتهم إلا في الحالات النادرة جدا ! أمْرٌ لا يستقيم عُرْفاً و لا عقلاً !!

لكني أحسب أن تلك الدعوة خرجت من قلب مشبع بيقين جازم بأن الله لا يعجزه شيءٌ..

لا يعني ذلك أني أوافقها على دعوتها !!

جزماً لا، لو فَوّضَتْ أَمْرَها لله، وطَلبتْهُ أن يختار لها ما يصلحها، ويهبها ماتقرُّ به عينها لكان أولى وأجدر، فكم من شخص سأل الله حاجته وألحَّ على أمرٍ كان يظن أن سعادته في تحصيله، وبعد أن ناله اكتشف أن نظره كان قاصراً، وتمنى لو أنه فوض أمره للعليم الذي يعلم الأصلح له، ورضي باختيار مولاه الحكيم الخبير الذي لايختار لعبده إلا ماييناسبه، فمن رُزق الرضا بالقدر فقد برئت ساحة حياته من استمرار الكدر .

وإن كنت لا أوافق تلك المرأة على دعوتها إلا أنه أعجبني شذا دعائها الذي فاح منه عبير (اليقين بقدرة الله) النابع من قلب أحسبه سُقي بـ (إحسان الظن) بربه، فأزهرت بساتين الفأل على ضفاف روحه لينعم في حياته وآخرته ..

تلك العبادات القلبية السامية (اليقين بقدرة الله، وإحسان الظن به) يتفوق فيها بعض الأميّين على كثير من المتعلمين وللأسف.

يقولون: الشفاء في هذه الحالة مستعصٍ !!

يقولون: الإنجاب فيمن هو في وضعك بعيد !!

يقولون: اترك هذا الأمر محال !!

يقولون: قدراتك لا تسمح بكذا !!

يقولون: سجن مؤبد !!

يقولون: خسارة مؤكدة !!

يقولون، ويقولون.

وربنا يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾[1].

رباه ارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، والثقة بكفايتك، وكمال الأدب بين يديك.

(١) سورة فاطر: ٤٤.



هذا سر خروجنا

الساعة تشير إلى السابعة صباحاً في منى ..

التفتتْ إليّ صاحبتي هاجر وقالت: نفسي تَتَشَوف للخروج، أشتاق لمشاهدة الحجيج خارج الحملة؟

قلت: وأنا كذلك .. الوقت مناسب جداً فأغلب الحاجَّات في سُبات وفرصة لنتدفأ تحت الشمس فبراد التكييف جمّدنا.

خرجنا ..

أبرار: هاجر هل لك وجهة محددة؟

هاجر: لا .

أبرار: حتى أنا .. إذن علينا ألا نبتعد كثيراً عن حملتنا ..

هاجر: حسناً .

أبرار: هاجر لنتوقف.. هذا مكان دافئ وكفيل بتليين عظامنا المتجمدة!

كل واحدة تنظر يميناً ويساراً تَرْقُب الحجاج بصمت .. فلضيوف الرحمن هيبة في القلوب.

أبرار: هاجر هل ترين ما أرى ؟!

هناك أصغر حاجة في هذا المكان لنقترب منها .

هاجر: ما شاء الله أرغب بتصويرها، هل ستسمح لنا والدتها ؟!

أبرار: لنستأذنها.

هاجر لأم الطفلة: هل تأذني لي بتصويرها .

الأم: تفضلي .

أبرار: هل تأذني لي بحملها؟

الأم: تفضلي .

أبرار: ما اسمها ؟

الأم: فوزية .

أبرار: هاجر لم أحضر حقيبتي .. هل معك شيء نكرم به فوزية وأمها؟

هاجر: للأسف حتى أنا لم أحضرها .. ما العمل؟!

أبرار: لا أدري لعل دعواتنا تكفي.

شكراً لك يا أم فوزية أنبتها الله نباتاً حسناً، ورزقك برّهاً وأقر عينك بصلاحها.

ونحن نهم بمغادرة المكان ارتفع صوت أخت مصرية تَرْقُبُنا من بعيد وقالت: هل أعطيتم الأم قيمة التصوير؟!

أبرار: هاجر لابد من مكافأة دعينا نذهب للحملة الآن .

هاجر: نعم لابد .

وعدنا إليها برزقها الذي كتبه الله .

أبـرار: هاجر والله الذي لا إله غيـره ما أخرجنا في هذا الوقت إلا رزق فوزية، أما ترين أنا خرجنا في وقت لم نعتد الخروج فيه ؟!

وليس لنا وجهة نصبو إليها ؟!

ولما أردنا مكافأتها بالدعاء فقط أنطق الله تلك الأخت المصرية لتشعل في قلوبنا الخجل من عدم مقابلة الإحسان بالإحسان ؟!

خروجنا كان لحكمة مُقَدَّرة ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾[1] كل شـيء !! لم يستثنِ سبحانه..

كل شيء بمقدار دقيق .. وعلم محيط شامل .. وبحكمة بالغة.. وبرحمة نافذة.. لو اسـتقر مفهوم هذه الآية في سـويداء قلوبنا لاسـتطعنا أن نقابل مصاعب الدنيا بوجه جديد .. وقلب حديد..ويقين راسخ ..ورضى تام ..وتفاؤل مشرق ..

لأن كل شـيء بمقدار الحكيم الخبير اللطيف، ولو عُرض لنا الغيب لما اخترنا إلا اختياره –سبحانه – الذي قدّره بمقدار..

ياهاجـر هـذا هو سـر خروجنـا: أداء هـذه المهمـة التي لم تُكشـف لنـا إلا بعد انتهائها.

لِمَ نقلق على أرزاقنا .. فالذي أمرنا أن نخرج لنوصل لفوزية رزقها سَيُيَسِّـرُ لنا رزقنا، من غير سؤال: متى أو كيف ؟!

فرزقنا محفوظ ولن نموت حتى نستوفيه !

---

(١) سورة الرعد :٨



وصـية الله

هناك حيث الخليل عليه السلام وهو يرفع القواعد مع ابنه إسماعيل .. ويسألان الله القبول..

حيث المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو ساجد ويُوضَعُ سلى الجزور على ظهره الشريف..

حيث عِزّةُ عمر ومحاربته لكل من آذاه حين أعلن إسلامه ..

حيث الفتح الأكبر وتكسير الأصنام..

حيث ارتفاع بلال وصَدْعُه بالأذان..

حيث الكعبة الشريفة صوبت بصري، وسرحت بفكري..

وإذ بصوت داعٍ خاشع ذليل منكسر يقطع علي تأمُّلِي، وهو يقول: يا سميع، يا رقيب، يا واسع، يا قادر، يا حفيظ، يا رزاق، يا جَوَاد، فغلبه البكاء ..

وقر في قلبي أنه بعد كل هذا الثناء والإجلال والخشوع والذل سيسأل الله رضاه والجنة، ويستعيذ به من سخطه والنار ..

غلب عبرته وأكمل تضرعه قائلا: يا صمد، يا منان، يا حي، يا قيوم أصلح أبنائي واجعلهم للمتقين أئمة..

عندما سمعت الدعوة لم أملك دمعتي، يا الله هذا قلب الأب المشفق الرحيم

حين أكرمه الجواد بالوقوف في بيته ليرفع سُؤْلَه وحاجته، قدّم أبناءه على نفسه في دعائه، فكيف بقلب الأم الرحيمة التي اختصها الشارع الحكيم بثلاثة أضعاف البر حين كررها المصطفى عليه الصلاة والسلام عندما سُئل: « **مَنْ أَحَقُّ النَّاس بحُسْنِ صَحَابَتِي قَالَ: أُمُّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ . قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمُّكَ. قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ**»[١]

هذا قلب الأب الرحيم، وذاك قلب الأم الرؤوم، ومع ذلك كله فيوصيهما أرحم الراحمين بأبنائهما: ﴿ **يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ** ﴾[٢].

أبعد هذا تتقاعس أيها الابن في برِّ من يُقدِّمك على نفسه ؟!!

أَبَعْدَ هذا تكسل عن إدخال السرور على قلبيهما ؟!!

أَبَعْدَ هذا تنأى بنفسك عن شرف رفعتهما، وإلباسهما حلل الكرامة في الدارين؟!!

أيها الأب الرحيم، أيتها الأم الرحيمة لا تقلقا على أبناءكما؛

فإن اجتاحتهم معضلة، أو نزلت بهم مصيبة، أو أَلَمَّ بهم مرض، أو عصفت بهم المحن .. فبتقدير أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، يعلم أن هذا هو الخير لكم .. فابتلاؤه رحمه، واختياره عن حكمه .. وهل الموصِي أقل رحمة من الموصَى ؟!!

أيها الأب الرحيم، أيتها الأم الرحيمة كم مرة منعتم أبنائكم مايريدونه خوفاً عليهم، وحماية لهم، والله أرحم بهم منكم، فكم مرة منعكم ما تريدون، فكشفت لكم الأيام أن منع الله كان في حقيقته عطاءً..

ففي طيّات مانكره خيرٌ دفين ..

رباه زدنا فهماً عنك ومعرفةً بك !

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة النساء: ١١



يا عبدي أراك وأسمعك

قبل سنوات نزل بأبي بلاء عظيم، فعلم ألاَّ مُخرج له مما هو فيه إلا الله وحده: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾[1].

فيمم وجهه شطر بيت الله الحرام وهو يُؤمِّلُ بالوهاب الجَوَاد، فالكريم من البشر لا يرد من يأتي إلى بيته ويسأله .. فكيف بأكرم الأكرمين وإله الأوّلين والآخِرين مَنْ خزائنه مملوءة وخيره وفير، ورزقه دارٌّ غزير، لا تُنْقِصُهُ نفقه؟!

لكم أن تتصوروا المشهد رجل مكلوم، تفطر قلبه من الهم، وفاضت عينه من الدمع، أنهى طوافه ووقف يصلي خلف المقام بِذُلٍّ وانكسار، يغالب عبرته، ويرد دمعته، وأنى له ذلك والهم ينهش أضلاعه، فانفجر باكياً، شاكياً لمولاه ما يجده..

في تلك اللحظات التي بث فيها شكواه لربه، وأنس بقربه، وتلذذ بمناجاته لم يشعر بمن حوله، فلما فرغ من صلاته وإذ برجل تركي لا يحسن العربية أخذ يطبطب على كتفه ويبتسم في وجهه مواسيا له، ولسان حاله: هون عليك يا أخي، خفف عنك فالدنيا فانية.

(١) سورة الأنعام:١٧

فرفع المكلوم طرفه إلى السماء قائلاً: يا رحمن هذه رحمة أخ مسلم لم ألتقه إلا في هذا المكان، أشفق لحالي حين رأى بكائي وحاول مواساتي وتخفيف حزني، ربي ومولاي ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة عبادك وخلقك.

وشكر صاحبه ومضى للمسعى ..

في ذلك الحين رُفع أذان العشاء، فرفع المكلوم أكفه بالدعاء ..

دقائق يسيره وإذ باتصال هاتفي يقطع عليه لذة الدعاء وأنس المناجاة، نظر في المتصل وإذ به شقيقه..

تعجب من وقت اتصاله لكنه رد عليه وأخبره أنه بالحرم ولا يستطيع الإطالة معه لأن الصلاة ستقام.

فأجابه: أعلم أنك في الحرم رأيتك وأنت تدعو في التلفاز والمصور ركّز على صورتك وكبّرها حتى ملأت الشاشة..

أنهى اتصاله..

ثم أنصت لحديث قلبه وهو يقول: يا جبار ما أعظم جبرك، جعلت المصور يصورني من بين تلك الجموع الغفيرة في بيتك الحرام، وجعلت أخي وهو في المنطقة الشرقية يشاهدني، ثم أمرته بأن يتصل بي.. وصلتني الرسالة ياربي، وفهمت عنك مرادك فلك الحمد على جبرك، فمن يراني ويسمعني سيفرِّج همي.. الحمد لك أنك ربي لا رب لي غيرك ولا إله لي سواك .

يامن يرى ما في الضمير ويسمع   أنت المعد لكل ما يُتوقع

يا من يرجّى للشدائد كلها   يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن فضله في قول كن   امنن فإن الخير عندك أجمع

مالي سوى فقري إليك وسيلة   فبالافتقار إليك فقري أدفع

مالي سوى قرعي لبابك حيلة   فلئن رددت فأي باب أقرع

ومن الذي أرجو وأهتف باسمه   إن كان جودك عن فقيرك يمنع

حاشا لفضلك أن تُقَنِّطَ راجياً   الجود أجزل والمواهب أوسع[1]

وبحمد الله مضت تلك السنوات العجاف، ففرج الله همه، وجبر كسره، وعوضه خيراً، لكنه امتحان للمؤمن، وتمحيص ورفعة، وكل يبتلى على قدر دينه فإن كان في دينه صلابه شُدد له .

أبشر أيها المهموم ..أبشر أيها المكلوم ..

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[2].

(١) السهيلي أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب . البداية والنهاية (١٢/ ٣٩٠)

(٢) سورة الشرح: ٥-٦.



فيض المشاعر في أغلى المشاعر

اعتدت الحج مع حملات تنقلنا بحافلاتها بين المشاعر فيغيب عني بعض معاني الحج، لكن التنويع مطلوب ليحج القلب مع البدن، ويحلِّق في سماء الآخرة، بعيدا عن زخم الدنيا ونعيمها الزائل، فلما نزلنا مزدلفة ودعنا أصحابنا فالملتقى بمنى بإذن الله..

افترقنا عنهم نريد أن نتذوق طعما آخر للحج لم نتذوقه من قبل، ولن نتذوقه مادمنا نتنقل في الحافلات، ونغلق على أنفسنا المخيمات، من هنا كانت البداية...

المبيت بمزدلفة وقبله الوقوف بعرفة الجميع على صعيد واحد ذابت أحسابهم وأنسابهم ومناصبهم، لا فرق في الظاهر بينهم، عربهم و عجمهم، عزيزهم وذليلهم، غنيهم و فقيرهم؛ هذا ما يغرسه الحج لا فرق في الظاهر أبداً، إنما التفاضل الحقيقي مكمنه تلك المضغة التي يطلع عليها من يعلم السر وأخفى ..

حط وفود الكريم رحالهم بمزدلفة ليبيتوا على التراب .. يا الله أين الأسرّة العالية، والأرائك الناعمة، والنمارق المصفوفة، والفرش المنقوشة، استوحيت رسالة ربانية: أي عبدي اليوم نمت فوق التراب وسيأتي اليوم الذي ستنام فيه تحت

التـراب، فاسـتعد لـذاك اليوم مادمت في زمـن الإمهال!! يكفي ليلـة واحدة فقط لتُفهمك الدرس! فإذا أسـفرت الشـمس انطلق إلى منى ومابين الصلاة والإسفار دعاء وذكر وابتهال ..

سار ركب الهُدى بخشوع وسكينة وفي أثناء الطريق اضطر كثير منهم للتخفف من متاعهم الذي أثقل سـيرهم حينها أيقنت إن أردت المسارعة في الخير والمسابقة عليـه لابـد أن أتخفف مـن الذنوب ومن متع الدنيا الزائلة، لأسـير بخفة وسـرعة إلـى جنة عرضها السـموات والأرض ﴿**وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣**﴾[1]

ارتفعت الشمس في كبد السماء فأخرج كل من يملك مظلة «شمسية» مظلته لتقيه حر الشمس، انتابتني رعشة وأنا أنظر لهذا الموقف .. إيـه يا نفسي الآن بوسعك أن تخرجي مظلتك متى أردت، وباستطاعتك أن تُظلي من تشائين بمظلتك، وتعيريها من تريدين لكن سـيأتي اليوم الذي لن يُظَل فيه إلا من اختارهم الله لظِلِّه، وهم: الإمام العادل، وشـاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابـا في الله اجتمعا عليـه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امـرأة ذات منصب وجمال فقال:إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شـماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.

وذكرتُ قول النبي ﷺ: «**اقرءوا القرآن فإنه شافع لأصحابه يوم القيامة، اقرءوا الزهراويـن البقـرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامـة كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهما**»[2].

---

(١) سورة آل عمرآن:١٣٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه .

وأنا في خضم هذا الشعور المهيب تأخرت عن سير أهلي قليلا وإذ بكل واحد منهم يناديني، حينها وقف قول الله أمام ناظري: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾[1] اليوم أهلي يبحثون عني ويتفقدونني، وسيأتي اليوم الذي يفرون مني وأفر منهم خشية أن يطالبونني بحقوقهم، أو أطالبهم بحقي .. يا الله!! «الموقف عظيم»!! لكلٍ شأنه الذي أشغله !! رحماك ربنا رحماك ..

أتعبنا المسير فأردت أن أقف قليلاً لأستريح ثم أكمل المشوار وجدت عن بعد مكاناً مناسباً للجلوس ذهبت إليه، وإذ بإحدى الأخوات تقول: محجوز .. تنحيت قليلاً أبحث عن غيره، وجد والدي – حفظه الله – مكاناً آخر مناسباً للجلوس استأذن الرجل الذي يقف فيه علّة يسمح لنا بالجلوس بجواره لكنه رفض وقال: محجوز ..

تذكرت ذاك اليوم الذي يقول كل شخص: نفسي نفسي .. إلا شخصاً واحداً فقط، يقول: أمتي أمتي .. روحي له الفداء عليه الصلاة والسلام.

فماذا قدمنا لنصرته، ونشر سنته، والدعوة لدينه، والعمل بمنهجه؟!!

هذه وقفات باح بها الخاطر راجية المولى الكبير أن يستفيد منها كل حاج، وهو يودع أهله بإرادته مستشعراً اليوم الذي سيودعونه بدون إرادته، وحين يتجرد من مخيطه امتثالاً لأمر ربه يتذكر ذلك اليوم الذي سيُجرّد فيه بلا حول منه ولا قوة..

(١) سورة عبس:١٣٣

كل هذه المعاني وغيرها تجعلنا ندرك لِمَ بدأ ربنا سورة الحج بذكر يوم القيامة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾[1] ولم يبدأه بالوقوف بعرفة ولا المبيت بمزدلفة أو منى، أو رمي الجمار ..

الحج مدرسة لمن وفقه الله لفهم مناهجها واستخلاص دروسها وعبرها ليتخرج منها بشهادة التقوى ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾[2]. ويتخرج منها بشهادة الاستسلام والإذعان والخضوع، فهذا حجر يُقبّل، وذاك يُرمى، وآخر يُرمى به، ورابع يُطاف حوله، وخامس يصعد عليه ، كل هذا لتحقيق العبودية التامة ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[3]

إلهي آمِنَّا يوم الفزع الأكبر، واجعل لنا من مقاصد الحج أوفر الحظ والنصيب..

---

(١) سورة الحج:١-٢.

(٢) سورة البقرة:٢٠٣.

(٣) سورة القصص: ٦٨ .



لو لم تأتها لأتتـــك

موعد إقلاع الطائرة في تمام الساعة الثامنة صباح الأربعاء، وصلتُ المطار وإذ الرحلات مضطربة بسبب العاصفة الرملية التي اجتاحت ربوع بلدي ..

لابد أن أسافر الآن فكل تأخير ليس من صالحي لأن موعد العودة الساعة الخامسة مساء غد الخميس .

تأخرت رحلتنا إلى جدة إلى ما بعد الظهر، أيقنت أني حُرمت العمرة بذنبي، فرفعت أكف الندم والتوبة (رباه لا تحرمني خير ما عندك بسوء ما عندي) ولزمت الاستغفار فبه تفتح الأقفال، وإذ بالبِشْر والسرور يعلو محيّا والدي – كان الله له – وهو يقول: وجدت رحلة إلى الطائف على خطوط أخرى .

كدت أن أخر ساجدة شكراً لمولاي لولا أني في مكان عام، فاكتفيت بالتمتمة.

وما أن اعتلينا ظهر الطائرة إلا وتغلق أبوابها، وكأنها تنتظر ركوبنا، فلك الحمد ربي..

انطلقنا لنشق سكون الفضاء، ونمخر عباب السحاب، فصدح في الأرجاء الإعلان عن المطار الذي سنهبط فيه « مطار أبها »!.

أبها؟!! كيف ذلك ومقصدنا مكة ؟!!

استوقف والدي – حماه الله – أحد الملاحين وسأله مستنكراً: أليست الرحلة للطائف ؟!!

قال: بلى، ولكنا سنهبط أولاً في أبها ثم نستأنف الرحلة ..

توقفنا حيث خطة السير التي تفاجأنا بها، ولم نُبلّغ عنها قبل الركوب ..

نزل ركاب أبها، وبقينا ننتظر الإقلاع للطائف .

مضت ١٠ دقائق !

١٥ دقيقة !!

٢٠ دقيقة !!!

إذ بالكابتن يعتذر عن إكمال المسير في هذه الأجواء الغَبِرة، فالرؤية معدومة، ومطار الطائف لن يستقبل أحداً، والحل أن ننزل في ضيافة مطار أبها إلى أن يفتح مطار الطائف أبوابه لاستقبالنا .. رضينا بالقضاء ..

مضى من الوقت ساعة، اثنتان، ثلاث، أربع، خمس، أدركتنا صلاتي الظهر والعصر .. شعرت بالجوع توجهت لأقرب مطعم، وأنا أنتظر طلبي، سرح فكري حيث تدبير الرزاق، وتقدير الحكيم مدبر الكون، أخرجني من بيتي وقدّر سفري لأبها لأتناول ما كتبه لي بهذا الكم ، والنوع، في ذاك المكان .

أخذت طلبي وأنا أقول في نفسي: إيه أيها المطعم رِزْقُك في هذه المحفظة، ساقني الله من مدينتي لأعطيك ما قدّره لك ، ولو لم آتيك وأسافر لأجل أن أعطيك رزقك، لأتيتني لتأخذه مني لأنه رزقك المكتوب لك !!

طـال انتظارنا ونحن نؤمل في أقرب رحلة إلى جـدة أو الطائف لنؤدي العمرة ونعود، لكن هيهات .. أنّى لنا والغبار في ازدياد !!

فلم يبق لنا سوى خيار واحد أن نعود من حيث أتينا ..

يممنـا وجهنا شـطر بيتنا، ونحن نسـأله سـبحانه أن لا يجعلنا ممن كـره انبعاثهم فثبطهم ..

صحيـح أنّـا عدنا بدون عمرة إلا أن ربي رباني ألا أقلق على رزقي كيف يأتيني ومتى ؟؟ فلن أموت إلا بعد أن أستوفيه كاملاً غير منقوص .. فعلام الهم والحزن، والقلق والتفكير ؟!!



أشتهي أن أقرأ ..

ها هم ضيوف الرحمن في بيت الكبير المتعال ما بين طائفٍ، وداعٍ ، ومُصَلٍّ، وتالٍ، ومستغفر، ومتأمل ..

في تلك الأجواء المهيبة تأتي تلك المرأة لتقطع علي لذة المناجاة، وأنس التلاوة فتقول: ممكن أكلمك ؟

رفعت طرفي إليها وإذ بها قد احدودب ظهرها، ورق عظمها، وتَجعّد جلدها، وأنا أنظر إليها دارت معركة في ذهني أأسمح لها بسرقة وقتي لأسمع منها قصة الأسى والحزن والفقر والحاجة التي حفظتها لكثرة ما سمعتها من المتسولات، أو أعطيها ما كتبه الله لها من رزق دون أن أضيع وقتي بسماع حكايتها، أو أعتذر منها بإحسان وأكمل قراءتي..

قَطَعَتْ عليَّ تفكيري بصوتها الحزين: يا بنتي ممكن أكلمك ؟

استحييت أن يراني مولاي أرد سائلة في بيته تريد بعض الدقائق من وقتي، أو بعض الريالات من حقيبتي وأنا بوسعي إعانتها فما أوتيته بحولي ولا بقوتي بل هو محض فضله وإحسانه فأخشى إن رددتها أن يردني عن رحمته، أو يطردني من بابه ..

وقد أخفى سبحانه مرضاته في طاعته فلعل هذه الطاعة التي أنال بها رضاه، أو لعل هذه المرأة من أوليائه الذين أخفاهم بين عباده.. فأي شرف في خدمة أوليائه وأحبابه؟!!

إن كان السعي في حاجة المسلم أحب إلى نبينا ﷺ من الاعتكاف في مسجده الشريف شهراً فكيف إذا كان ذاك المسلم ولياً ، لله تقياً ؟!!

قلت: تفضلي .

قالت: وهي تثني ركبتها للجلوس أمامي: يا بنتي أشتهي أن أقرأ القرآن.

قلت بلسان متعجب: تفضلي اقرئي ما الذي يمنعك ؟!!

قالت: ما أعرف .. يا بنتي لي سنوات في دار التحفيظ وإلى الآن لا أستطيع القراءة ..

تلعثم لساني واحمر وجهي خجلاً كيف أني أحرجتها بسؤالي الذي كان من المفترض أن أدرك إجابته قبل طرحه، فأردت تصحيح خطئي فقلت لها: يا أمي ما رأيك أن أقرأ عليك وتقرئي بعدي..

سُرَّتْ وابتهجتْ، قلت وأنا أفتح مصحفي على الصفحة التي توقفتُ عندها قبل أن يبدأ حواري معها: سأكمل قراءتي من سورة ..

قاطعتني قائلة: لا أنا أريد أن أقرأ من أول المصحف .

قلت وأنا أقلب الصفحات تلبية لمطلبها: هل تحفظين سورة الفاتحة ؟

أجابت أن نعم، ثم شرعنا في القراءة.

وكانت كلما فتحتُ صفحة تضع إصبعها على كلمة (الله) وتقول بسرور

بالغ: هذه (الله) فرحاً واستبشاراً أنها تجيد قراءتها !! ولم تك تتقن قراءة غيرها.

طال المقام، وكثرت اتصالات أهلي قلقاً على تأخري، استأذنتها وأنا أبشرها بقرب اليوم الذي ستقرأ فيه كلام الله.

فقالت وهي تودعني: يا بنتي ما أحد يشعر بمأساتي إلا من يعاني معاناتي، أنتم متى ما أردتم فتحتم كتاب ربي وقرأتم من أي مكان وفي أي سورة، أما أنا فأنتظر أبنائي حتى يعودوا من عملهم ليرتاحوا ثم يخرجوا مرة أخرى لحوائجهم فإن بقي معهم متسعٌ في الليل ساعدوني بقراءة بعض الأسطر مع الحرج الذي يصيبني لأني أكلف عليهم..

يا بنتي إذا ضاق صدري وعلاني الهم وأردت أن أسلي نفسي بكلام ربي أفتح المسجل على أحد القراء فإذا جاوز الآية التي هي بلسم لجرحي علاني هم على هم لأني إذا أعدت الشريط لا أدري هل سيأتي بها القارئ أم أنه سيتقدم كثيراً وتذهب تلك الآية التي آنستني، أما أنتم فتكررون ما تشاؤون، وتقرؤون ما تريدون في الوقت الذي تريدون، بالقدر الذي تريدون.. هنيئاً لكم..

ودعتها وأنا أكفكف دموع الغفلة عن تلك النعمة التي لم أدركها إلا تيك الساعة، لأني فتحت عيني في بيئة قُرّاء فلم أستشعر يوما قدرها ولا وزنها، ولا مغبة حرمانها..

ودعتها وأنا أنفض غبار الظن عن قلبي بأني المتفضلة عليها بدقائق معدودة من عمري، بل هي المحسنة إليّ حين أيقظتني من سُباتي..

ودّعتها وأنا أجلد ذاتي بسياط اللوم والتقريع على يوم مضى لم تنظر عيناي فيهما لكتاب ربي..

ودعتها وأنا أدعو مولاي أن يعينني على استخدام نعمة القراءة فيما يقربني منه ويدنيني عنده..

ودعتها وأنا أقرأ لأول مرة بقلبي ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[1]

فيا من علمني مالم أعلم زدني وقارئ حرفي عِلْماً به وعملاً وتبليغاً لوجهك خالصاً، وأكرمنا بقراءة كتابك على الوجه الذي يرضيك عنا آناء الليل وأطراف النهار، واجعلنا ممن يقيم حروفه وحدوده، لا ممن يقيم حروفه ويضيع حدوده .. واكشف الغمة عن أمة من ابتدأه الوحي بـ(ٱقْرَأْ)، ووحد صفوفهم، واجمع كلمتهم، واحقن دمائهم، وأبدل ذلهم عزا، وخوفهم أمناً، و إهانتهم كرامة، وأصلح مناهج تعليمهم وإعلامهم، واجعل قراءتهم وكتابتهم في ما يرضيك عنهم ويدنيهم عندك ..

فلله الحمد على نعمة القراءة، وجزى الله عني تلك المرأة خيراً ونَوَّلها مَنَاها ومبتغاها ..

(١) سورة العلق :١ – ٥.



كنــوز الدعــاء

أم عبـد الكريم تطرق باب الغرفة المخصصة لمشـرفات الحج، وتدخل: السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجميع: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أم عبد الكريم: أبرار يابنتي الوقت مناسب أسألك ؟!

أبرار: مناسب جداً، مرحباً بك .

أم عبد الكريم: حصل لي أمر غريب يوم عرفة، يابنتي أريد أعرف تفسيره ؟!

أبـرار: خـيراً إن شـاء الله .. تفضلي هات ماعنـدك، كُلِّي آذان صاغية لحديثك يا خالــة.

أم عبـد الكريم : بعد الظهر أكلت ما تيسـر ثم خرجت خارج المخيم وفرشـت سـجادتي بعيداً عن الأنظار لأخلو بربي وأتفرغ للدعاء .. ويأمر الله تلك المرأة أن تأتـي من بعيد وتجلس بجواري .. التفت إليهـا وإذ بها تحمل كتاب (كنوز الدعاء) طـار قلبـي لـه .. هذا الكتـاب الذي اقتنيته قبل سـنوات وتمـزق لكثرة مـا أقرأ فيه خصوصا عصر الجمعة، وصاحب الكتاب فاعل خير لا يُعرف من هو، كتب عليه

لا يُسمح بتصويره لأن ريعه خيري، وأعياني البحث عنه في المكتبات وهاهو بيد المرأة .. لم أتمالك نفسي وقلت لها: من أين اشتريت هذا الكتاب ؟!

قالت: وصلني .. هل تريدين القراءة منه.

أم عبد الكريم: لا .. شكراً كانت عندي منه نسخة وتمزقت .

صاحبة الكتاب: تفضليه .

أم عبد الكريم: لا هو لك، شكرا جزيلا . (استحييت أن آخذه مع أن نفسي متلهفة له).

صاحبة الكتاب: والله تأخذيه .

أم عبد الكريم: فأخذته ومشاعر في داخلي لا أستطيع ترجمتها .

يابنتي فسِّري لي ما يحدث ؟!

قلتُ: يا خالة ما أكرم الله.. هو الكريم المؤمن الرزاق الجبار اللطيف .. أمّن قلبك وطمأن فؤادك بإرسال هذه المرأة لك وأنت لم تسألي الله أن يرزقك الكتاب.

هذه رسالة من الله لك تحمل معاني لطفه وجبره وكرمه، مفادها: يا أَمَتِي هذا برهان عيان على إجابة دعواتك .

فأنت تمنيت أمراً ها أنا أُنَزِّلُك إياه من غير أن تسأليني فكيف بما تسألين وتلحين عليّ؟!

جزماً سيستجيب لك، فمن حقق أمنية لم تسأليه إياها سيحقق دعاءً تلحين عليه فيه، فهو الرزاق الوهاب سبحانه.

وهو الجبار علم رغبتك الصادقة في الحصول على هذا الكتاب فجبرك وقاده لك، وأين؟!

في عَرَفَة موطن تَنَزُّل الرحمات والبركات.

فكم كسير جبره الجبار في ذاك اليوم ..

قالت أم عبد الكريم وعيونها تذرف: الله أخرجها من الخيمة من بين كل الحاجات لتجلس بجواري وتهديني الكتاب الذي كنت أبحث عنه لفترة طويلة .. ما أكرمك ياربي .. أبرار يا بنتي انقلي قصتي وحدثي بها .

أ. منى – مديرة الحملة – كانت تستمع إلى حديثنا قالت: يا أم عبد الكريم إن كنت تبحثين عن نسخة واحدة من كتاب كنوز الدعاء فهذا رقم المؤلف بجوالي إن أردتِ طلبتُ لك منه نسخا عديدة !!!!

ما ألطفك يامولانا وما أغدق عطاءك .. خالقنا وسيدنا ماقدرناك حقاً ولا عظمناك صدقا !

يا ربنا ألهمنا الأماني الطيبة النافعة الصالحة[1]، وزدنا معرفة بك، وقربا منك .

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال: رسول الله ﷺ : (إذَا تَمَنَّى أَحَدُكُم فَلْيُكثِر ، فَإنَّمَا يَسأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) رواه ابن حبان في صحيحه (٢٤٠٣) والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٣٠١) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٠) : رجاله رجال الصحيح . وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٣٢٥).

– قال ابن الأثير : التمني : تشهي حصول الأمر المرغوب فيه وحديث النفس بما يكون وما لا يكون. والمعنى : إذا سأل الله حوائجه وفضله فليكثر فإن فضل الله كثير وخزائنه واسعة. النهاية في غريب الأثر (٤/ ٨٠٤)

–قال البغوي في شرح السنة (٥/ ٢٠٨) : هذا فيمن يتمنى شيئا مباحا من أمر دنياه وآخرته،فليكن فزعه فيه إلى الله عز وجل ، ومسألته منه وإن عظمت أمنيته، قال الله عزجل : ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء : ٣١]

وليس من هذا القبيل أن يتمنى الرجل مال غيره ، أو نعمة خصه الله بها حسدا أو بغيا ، فإنه منهي عنه ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء : ٣١].



الهرولة بين الميلين في بطن الوادي

كم تمنيت في طفولتي أن أحاكي والدي –حفظه الله– في تطبيق سنة الهرولة بين العلمين في المسعى وكلما هممت بتقليده ذكرتني والدتي –حفظها الله – أن هذه سنة خاصة بالرجال..[1]

عقلي الصغير لم يدرك خصوصية تلك الشعيرة بالرجل مع أن الفاعل لها ابتداءً امرأة «هاجر» أم إسماعيل عليه السلام، فَلِمَ لا تكون سنة خاصة بنا معاشر النساء ؟!!

ومن كرم الله أني نشأت في بيئة شعارها ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾**﴾[2]

فأذعنت لأمر ربي وتناسيت سؤالي ..

فلما يسر الله لي العمرة قبل أيام، رأيت امرأة تركض بالمسعى كالمجنونة تبحث

(١) لم يثبت في حديث صحيح ولا ضعيف أن الصحابيات اللاتي حججن مع رسولنا صلى الله عليه وسلم كن يهرولن ، فامتناعهن عن ذلك بالرغم من قول النبي صلى الله عليه وسلم : (خذوا عني مناسككم) دليل قاطع على اختصاص الرجال بهذه السنة .

(٢) سورة الأحزاب :٣٦.

عن طفلها الذي فقدته، حتى لم الله شملها وأقر عينها به، ذاك المنظر جعلني استحضر مشهد هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام وهي تسعى خشية الهلاك!

تبحث عن ما يقيم صلبها وصلب طفلها، حتى فرّج الله عنها، وخلّد فعلها، سنة تُذكِّر بتفريج الهم، وتنفيس الكرب لمن توكل على الله كمال التوكل، وأحسن الظن بمن يملك مقاليد الأمور، إذا أراد أمراً قال له كن فيكون ..

أوقفت شريط مخيلتي، وأغمضت عيني قلبي لأفتح عيني بصري، وإذ بفوج من المعتمرين قادم يهرول بين العلمين ..

انتابني شعور من الفخر والاعتزاز فمنظرهم المهيب فيه الشجاعة والقوة والبسالة، ومن خلفهم النساء يسرن بحشمة وحياء ..(1)

حينها قفز سؤالي الطفولي: لِمَ الهرولة خاصة بالرجال مع أنها إحياء لسنة امرأة تُذكِّر بكرم الله ولطفه وقريب فرجه ..

هي رسالة إلهية لنا معاشر النساء استوحيت منها:

أي عمل يُخل بحيائنا وحشمتنا وعفتنا فلنحذر إتيانه وفعله وإن كان في مجال الخير .. وفيها غلق لباب كل طامع يحاول زلزلة الفضيلة، واقتحام سور العفة بدعوات آثمة، وشعارات مضللة باسم حرية المرأة، ومساواتها بالرجل ..

---

(1) قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على أنه لا رمل على النساء حول البيت ولا بين الصفا والمروة، وليس عليهن اضطباع وذلك لأن الأصل فيهما إظهار الجلد، ولا يقصد ذلك في حق النساء، ولأن النساء يقصد فيهن الستر، وفي الرمل والاضطباع تعرض للتكشف. المغني (٣/ ٤١٦).

ومن الرسائل في تلك القصة لكل موحد:

١ – أن كفايـة اللـه للعبد بحسـب ما يقر في قلبـه من صدق التعلـق بالله وتمام الخضـوع لـه، فكلمـا كملـت العبودية والاستسـلام لأمر اللـه كمل الحفظ والعطاء، فحين قالت هاجر لإبراهيم عليه السلام: آلله أمرك بهذا ؟

فقال لها: نعم .

حينها أذعنت واستسلمت وأظهرت صدق التوكل (إذن لن يضيعنا)، فكان ما قالت لم يضيعها بل أكرمها الكريم وخلّد ذكرها ﴿**إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا**﴾[1].

٢– الكـريم عزوجـل إذا أكرم عبداً نـوَّله فوق ماتمنى، هذه هاجر أرادت أن تَبلَّ عروقهـا وتروي ظمـأ صغيرها بقطرات من ماء، فأكرمهـا الكريم ببئر زمزم .. أطلق لأمنياتك العنان .. فما خاب من رجاه، ولا خسـر من أمّله .. كريم أكرم وهاب رزاق إذا أعطى أدهش !

٣– قد تطرق أبواباً بعيدة عنك لتفرج الهم وتنفس الكرب؛ وتغفل عن الحلول المجـاورة، هاجر كانـت تبحث يميناً ويسـاراً لعلها تجد بصيـص ضياء، لكن اللـه جعـل فَرَجَها تحت قدم رضيعها .. أمرٌ لَـمْ يخطر لها على بال .. فمهما بذلت الأسباب في تفريج الكرب، فالفرج بقوة مايقع في القلب من صدق التوكل لا بقوة بذل السبب.. ﴿**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾[2] لذا قلها بقلب واثق: **بَعُدت أو قربت عني أيها الفَرَجُ حتماً سنلتقي فأنا في عبادة انتظارك.**

(١) الأنفال: ٧٠.

(٢) الطلاق: ٣.



إذا باشر الإيمان شغاف القلوب

حج هذا العام كان مختلفاً بالنسبة لي لا لأني تنقلت بقطار المشاعر فحسب – جزى الله من فكر به وقام عليه خيراً – بل لأني التقيت بحديثات عهد بإسلام .. حَلَّقْنَ بي بعيداً عن أرض الواقع .. رأيت من حرصهن على حجهن الشيء العجيب .. تعلمت منهن الدروس واستلهمت العبر .. كان قلبي يقودني لمجلس الناطقات بغير اللغة العربية قَوْداً رغم أن هناك مجالس للناطقات باللغة العربية إلا أن نفسي تهفو لهن .. وما سأطبعه في الأسطر القادمة هو بعض ما تعلمته منهن فجزاهن الله خيراً:

١ – أمريكية (سوداء البشرة)، تقبع في آخر المجلس بهدوء وسكينة .. لم أدخل على مجلسهم إلا وفي يدها كتاب أدعية تقرؤه أو مصحفاً ترتله .. اجتمعتُ بأخواتها الناطقات بغير اللغة العربية في أكثر من محفل غير أنها تأبى الجلوس معنا..

أدهشني أمرها وحبها للعزلة .. وكأن لسان حالها يقول: لا أريد سماع مواعظ البشر ... أريد الانفراد بربي .. دعوني وشأني أناجي خالقي وسيِّدي .. دفعني فضولي لسؤال المترجمة عنها فأخبرتني بخبرها ..

قـرأتْ عن الإسـلام قبـل ٢٠ سـنة فاقتنعت بـه وعزمت علـى الدخول فيه فنازعتها نفسـها في حب زوجها إما أن تتخلّى عنه لأجل دينها الجديد الذي ستعتنقه أو تبقـى معه رغـم تعلقها بالإسـلام، جاء المحـك الحقيقي للولاء والبـراء وهـي لم تدلف[1] باب الديـن، غير أنها أبت أن تعتنقـه دون أن تُلِمّ بتعاليمه بصورة مجملة ..

حاولت إقناع زوجها ليتحول عن دينه فأبى !!

فاختارت باب العبودية وكمال الاستسلام لمولاها وخالقها وتخلّت في من أحبتـه حبـاً صادقـاً .. هذا هو الدين الحق إذا باشـر القلـوب وأذاقها حلاوة الإيمـان يرغمها على الاستسـلام والإذعان بعز وافتخار .. دون تسـاهل أو تردد أو جدال .

رأيتها في عرفة وهي تلح على الله بالدعاء بذل وانكسار .. فسألتُ المترجمة يوم العيد عن شعورها فقالت: شعور لا يوصف ..كانت تدعو بعرفة لطليقها -زوجها السابق- بأن يمن الله عليه بالإسلام !!

ياللـه مـا أجمله من وفاء .. حين ذاقت لذة العبودية والانكسـار تذكرت من أحبته في يوم ما وذكرت جميل عشرته وطيب مناقبه وحسن شمائله .. ولم يُنْسِـها عفو السـنين وتعاقبها .. لله درها من امرأة وفيـة .. أحبت لغيرها ما أحبته لنفسها ..

٢- بلجيكية الجنسـية، عمر إسـلامها ٤ أشـهر فقط، كان سـبب إسلامها قرب القريب سبحانه من عباده !!

زوجها مسـلم منذ أكثر من ٢٠ سـنة، وتراه كلما أصابه هم أو غم أو احتاج

(١) تدلف: تدخـل.

أمراً أو أذنب ذنباً فزع لسجادته وناجى خالقه ومولاه .. وهي كلما أذنبت أو أصابها هم أو احتاجت أمراً انتظرت يوم الأحد لتذهب للكنيسة فتفضح نفسها عند القسيس وتخبره بكل مافي خاطرها .. فجلست جلسة صراحة مع نفسها ذات يوم وقالت: أي دين هذا الذي يجعل هناك واسطة بين العبد وربه ؟!!

ربنا قريب يسمعنا ..

ربنا يرانا ..

لست بحاجة لقساوسة بعد اليوم وأشهرت إسلامها ثبتنا الله وإياها..

سألتني مغرب يوم عرفة: متى سنذهب لمزدلفة ؟

فأخبرتها بعد قليل حين يحين موعد انطلاق حملتنا للقطار.

قالت: ثم ماذا ؟

قلت: ننام فإذا استيقظنا سرنا لرمي الجمرة في مِنى .

قالت: متى أُقَصِّر؟

قلت: نذهب لمنزلنا في الحملة لنقصر شعورنا قدر أنملة.

قالت: متى نذهب للطواف ؟

قلت: اجمعي الإفاضة مع الوداع فهو أيسر لك، وأحفظ من كثرة مخالطة الرجال .

قالت: كلا !! سأنطلق للحرم وأطوف كما فعل نبينا ﷺ..

ذلكم الإيمان الصادق إذا باشر القلب أبى إلا اتباع السنة بحذافيرها ..

أخذتُ اعقد مقارنة بين حرصها رغم قصر عمر إسلامها مع بعض الأخوات في المجالس الأخرى اللاتي ولدن مسلمات في بيئة مسلمة وتربين في أرض التوحيد ومهبط الوحي ومع ذلك يتتبعن الرخص في كل شيء، مع كمال نشاطهن وتمام عافيتهن، لكنها الرفاهية الزائدة اللاتي تربين عليها !!

طلبتُ من المترجمة يوم العيد أن تسألها عن شعورها في عرفة ؟

قالت: شعور غريب جداً شعرت بقرب ربي مني وكأنه أمامي، ثم فاضت عينها بالدموع .. ثم أكملت قولها: غير أني حزنت في مزدلفة حين وجدت الحملة قد وضعت لنا (رواقا) وفرشت لنا الأرض بالسجاد ووضعت الفرش والبطانيات وجهزت دورة مياة خاصة بنا، وأحضرت الأكل، نحن مجموعة بسيطة قدمت لنا هذه الخدمات المميزة أما غيرنا ممن كانوا خارج (رواق) حملتنا لا يملكون مانملك من الرفاهية، هل يوم القيامة سأكون من المميزين الذين تقدم لهم خدمات جليلة فلا يشعرون بالتعب كما يشعر غيرهم ؟!!!!

أحسبها ممن يتذوق معاني الحج ولا أزكيها .. ثبتنا الله وإياها ..

٣- لبنانية الأصل فرنسية الجنسية واللغة، تتحدث اللغة الإنجليزية والفرنسية بطلاقة أما العربية فمكسرة كسوراً مضاعفة، مسلمة بالاسم فقط، لم تصلي إلا قبل ٧ سنوات .. وحين اقتنعت بالصلاة سألت شيخاً هل يجب عليها الحجاب أثناء الصلاة ؟ فأجابها: لا، لأنها تقابل ربها الذي يراها في كل أحوالها والحجاب لم يشرع إلا ليسترها عن نظر الأجانب إذا خرجت من منزلها، فكيف تستتر عن ربها ؟!!!

تعجبتْ من الأخـوات حين يشـرعن في الصلاة يبادرن للتسـتر فسـألتهن بعفوية لم تفعلن ذلك ؟ فأجبنها بأن المرأة كلها عورة في الصلاة إلا وجهها وكفيها.

لم تقتنع حتى سألتني ..

وكانت صاحبتها الفرنسية بجوارها تستمع لي فقالت بحرقة: هل تَعَلُّم أمور ديني صعب مع عملي وبيتي ؟!

هل وجدت صعوبة يا أبرار أثناء تعلمك للشرع ؟

هل وكيف ومتى .. .. ؟

قلت لها: لماذا تريدين تعلم الشريعة ؟

قالـت: حتـى أقدم علـى ربي وقـد عبدته كما أمـر، وأحمي دينـي من تلك الفتاوى الشاذة!

جملـة نقشـت في قلبـي لو استشـعرها كل طالب علم ما أظنه إلا سيسـارع فيـه.. أقدم علـى ربي وقد عبدته كمـا أمر، وأحمي ديني مـن تلك الفتاوى الشاذة.

٤- هنديـة الأصل أمريكية المولد والجنسـية .. رأيـت من حرصها على مجلس العلـم ما يثلج الصدر وتُلِـحُّ عليَّ ألا أبدأ الدرس إلا بوجودها .. وتكثر من الأسـئلة دلالـة حرصها على العلـم وطلبه .. زادهـا الله وثبتها .. سـألتهن فـي إحدى المجالس لماذا تقرأن القـرآن .. تباينت الإجابات، غير أن إجابتها اقشـعر لها جسدي حين قالت: أقرأه لأشـعر بالأمان والاحتواء على الرغم

أني لا أفهم منه شيئا لكني أقرأ لتسكن نفسي وليطمئن قلبي .. ما أعظم كلام ربي!! ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾[1]، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[2].

٥- فلسطينية الأصل كندية المولد والجنسية تتقن اللغتين العربية والإنجليزية .. هي المترجمة لي - جزاها الله عني خيراً، قالت جملة لازال صداها في أذني، حين كنت أحدثهم عن مقاصد الحج وأنه صورة مصغرة ليوم القيامة، وإذ بإحدى الأخوات المشرفات تحمل كيكة العيد لمجلس الناطقات بغير اللغة العربية وتقطع علينا الدرس لتهنئنا بالعيد ووضعت الكيكة وخرجت.

فقالت تلك الأخت: في الصباح حلوى (فاخرة) وفي المساء (تورتة) العيد والله إنا في جهاد ..حتى ونحن في الحج في المشهد المصغر ليوم القيامة تلحقنا الدنيا .. نحن تركناها خلفنا وهي تركض وراءنا لتفتنا بزينتها .. رباه اعصمنا .. اللهم آمين ..

ختاماً: أوصي نفسي وإخواني وأخواتي طلاب العلم وطالباته بالحرص على تعلم اللغة السائدة لغة التخاطب بين الشعوب الأجنبية فإخواننا وأخواتنا في أمس الحاجة لنا ولما رزقنا الله فلا نبخل عليهم، فكم من الأمور هي من المُسَلَّمات تعلمناها منذ نعومة أظفارنا، إلا أن معرفتهم لها تعتبر كنزاً ثميناً ..

(١) سورة الانباء: ٥٠.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.



خيـر الدعـاء

ذاك اليوم الذي تهوي إليه أفئدة الموحدين، وتشتاق للوقوف على صعيده أرواح الصادقين، يوم تَنَزُّل الرحمات، واستلهام الخير والبركات، يوم سكب العبرات، وإراقة الزفرات، وبث الهموم والحاجات..

يوم عرفات ..

يوم جليل مُهاب، يوم الدعاء المستجاب ..

يوم لطالما سمعنا وقرأنا بأن دعاءه خير الدعاء ..

وقد بينه نبينا ﷺ بقوله: «**خير الدعاء: دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير**»[1] لننيخ المطايا قليلاً ونكشف الستار عن اختصاص هذا الدعاء بوصف الخيرية عن غيره من الأدعية النبوية .

(١) أخرجه الترمذي وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحكم عليه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح رقم (٢٥٩٨) بالصحة ، وحكم عليه في صحيح الترمذي وضعيفه رقم (٣٥٨٥) بالحسن .
والذي تميل إليه النفس أنه صح مرسلاً لا مرفوعاً ، ومادام أن الحديث في الفضائل فما المانع أن نعمل به ؟!

وحتى نُميط اللثام لابد أن نتصور حال رجلين دخلا على ملك من ملوك الدنيا

فالأول: سأله حاجته .

والثاني: أثنى عليه بأحب صفاته نثراً، أو شعراً، ولم يسأله حاجته.

فما كان من فعل الملك إلا أن أعطى الذي سأله حاجته فقط - وإن عُهد عنه الكرم فسيكرمه بزيادة على حاجته - ثم التفت إلى الذي أثنى عليه ومدحه فأدناه وقربهِ، وأكرمه إكراماً لم يخطر بباله .

ولله المثل الأعلى، مالك الملك، بيده خزائن السموات والأرض، يحب الحمد وهو أهله، فإذا أثنينا عليه بالوحدانية وهي التي من أَجْلِ تحقيقها خُلقنا، وهي التي بها قيام السموات والأرض أكرمنا إكراماً لم يخطر ببالنا .

لذا استحق هذا الذكر الفوز بلقب: خير الدعاء[1].

ولأنه خير الدعاء شُرع ذكره في مواطن عدة، منها:

١- أذكار الصباح والمساء: (**من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه**)[2].

(١) قال السندي -رحمه الله- : يحتمل أنه أراد بالدعاء مطلق الذكر، ويحتمل أنه أراد المعنى المتعارف، وعلى الثاني فتسمية هذا الذكر دعاء لأن الثناء على الغني الكريم من المحتاج الفقير تعرض لقضاء الحاجات بأبلغ وجه ، ولأنه من باب الشكر المستجلب للمزيد فهو في معنى الدعاء. والله تعالى أعلم. مسند أحمد، ط : الرسالة (١١ / ٥٥٠)

(٢) متفق عليه .

٢- إذا تَعارَّ[١] من الليل: (من **تعار من الليل فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله،ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب له، فإن توضأ وصلّى قُبلت صلاته)**[٢].

٣- إذا رجع من عمرة أو حج أو غزوة: كان رسول الله ﷺ **إذا قفل من غزو أو** حج أو عمرة يكبر على كل شَرَفٍ من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول: **(لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده)** [٣].

٤- أدبار الصلوات: كان نبينا ﷺ يقول في دبر كل صلاة : **(لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد)**[٤] .

وصح في الخبر أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه كان يهلل دبر كل صلاة ثم يقول:(لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو

(١) انتبه من نومه أو تقلب على فراشه فستيقظ .

(٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

كره الكافرون) ويقول عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة»[1] .

٥- إذا اعتلى الصفا والمروة في الحج أو العمرة: «ما دنا ﷺ من الصفا قرأ ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[2] أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة فوحّد الله وكبّره وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة حتى إذا أنّصبَّت قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدتا مشى، حتى إذا أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا» [3].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٢) سورة البقرة : ١٥٨.

(٣) أخرجه مسلم، في حديث طويل.



فيض العطاء

منشأ الحكاية ليس في الحج بل له جذور قديمة.. سأدير عجلة الذاكرة للخلف بضع سنين لتتضح لكم بكل تفاصيلها.. حين التحقت بمنتدى صناعة الحديث عام ١٤٢٧هـ الموافق أواخر ٢٠٠٦، ذاك المنتدى النافع الذي شعّت أرجاؤه ببركة السنة، اجتمعتُ فيه بخيرة الأخوات – أرضاهن الله ورضي عنهن ورضي عن القائمين على المنتدى وأرضاهم – ، كنا كالأسرة الواحدة رغم أن الديار متباعدة لكن الهدف مشترك، والأفكار متقاربة، والهمم متوازية.

كان أقصى أمنياتي أن تَقرّ عيني برؤية أخواتي اللاتي تعرفت عليهن.. فأكرمني الكريم برؤية البعض منهن، وأسأله أن يجمعني بالبقية في القريب العاجل..

و بعد أن قُبلت لدراسة الدكتوراه في الجامعة زاد طمعي بكرم ربي فسألته أن يجمعني بمن يشاركني الطموح والهدف ممن اجتزن الماجستير ممن آخيتهن في ذاك المنتدى وهما أختان – وفقهما الله وسددهما– كلاهما من دولة الكويت..

فاستجاب الله سؤلي في الأولى وبسط لي في الاجتماع معها، وأكرمني بصحبتها في قاعات الدراسة فصلاً دراسياً كاملاً فكان لتلك الأيام مذاق خاص فله الحمد.

ومنعني الثانية، رغم أن نفسي تاقت وتلهفت لصحبتها بالجامعة لعلو قدرها،ولقربها فهي أكثر أخت اشتركتُ معها بمشاريع علمية في الشبكة العنكبوتية، بل كنا توأم منتدى صناعة الحديث، وقويت صحبتنا أكثر في دورة دراسة الحديث المعلّ، لكن للحكيم حكمته حين منعنا الدراسة سويًا في قاعات الجامعة.. فله الحمد.

و تصْرِيفُ هذَا الخَلْقِ لله وَحْدَهُ	وَكُلٌّ إِلَيْهِ لا مَحَالَةَ راجِعُ
ولله فِي الدُّنيَا أعَاجيبُ جَمَّةٌ	تَدُلّ على تَدْبيرِهِ وبَدَائِعُ
ولله أسرارُ الأمُورِ و إنْ جَرَتْ	بها ظاهِراً بَينَ العِبادِ المَنافعُ
ولله أحْكَامُ الْقَضَاءِ بِعِلْمِهِ	ألاَ فهوَ معْطٍ مَا يَشَاءُ ومَانِعُ[١]

وبقيت أمنيتي بالاجتماع مع أختي الثانية الرزان الوقور حبيسة الصدر، فليس هناك أمارات ظاهرة تبشر بتحقيقها، وإن تحققت فلا أدري كيف ستتحقق، ولا متى، ولا أين ؟

إذا أذن اللّه في حاجة	أتاك النجاح بغير احتباس
فيأتيك من حيث لا ترتجي	مرادك بالنجع بعد الإياس[٢]

علم علام الغيوب، المطلع على السرائر وما تكنه الضمائر مافي الخاطر.. فأكرمني برؤيتها مرتين على فترات متباعدة، ثم تفضل وجاد بالعطاء فوهبني صحبتها في الحج أسبوعا كاملاً، عطاء فوق ما أتمنى .. لم يخطر ببالي يومًا حتى أسأله ربي.. لكن الجَوَاد إذا جاد أفاض .

(١) أبو العتاهية

(٢) عبيد الله العبقسي المعروف بالصوري.

كان أقصى أمنياتي أن تكتحل عيني برؤيتها، فلما حققها.. زاد الطمع في كرمه فسألته اجتماعاً في الجامعة.. فأخر المؤخر اجتماعنا.. وأكرمنا بالسفر سوياً واختار لنا خير بقعة وأشرف أرض لنجتمع في أجلّ العبادات!

بل زاد الوهاب في هباته وأعطياته وجمعنا بغرفة واحدة وكان المفترض حسب التوزيع المرسوم أن تكون في غرفة وأنا في غرفة أخرى، لكن من يدبر الأمور علم أمنياتنا، واطلع على ما في قلب صاحبتي الأثيرة حين وفقها وفتح عليها بتقديم اختياره على اختيارها لذا لم تطلب مرافقتي ورضيت عن الله في تدبيره مع أن نفسها همت بالطلب لكنها تذكرت أن اختيار الله ليس كمثله اختيار..

فأذن سبحانه بتغير ترتيب بعض الأسماء قبل وصولي لهم وكتب اجتماعنا في غرفة واحدة بدون طلب مني ولا منها، ويسره بتدبير عجيب يذيب قلب المتأمل تعظيماً وتوقيراً وإجلالاً لتقدير المعطي الباسط اللطيف الخبير ..

فكم في تصاريف تدبير الرب جل في علاه تربية لقلوبنا.. وتهذيبًا لسلوكنا.. وتأديبًا لأرواحنا.. فلانحزن على تأخير، ولانفرح بتقديم.. فالمقدم المؤخر يدبر الأمر، ويختار الأصلح لعبده .

عظمت صفاتك يا عظيم فجل أن ..

يحصي الثناء عليك فيها قائل

كلما رفعت أكفي بالدعاء في المشاعر تذكرت الكريم الذي أعطاني أمنية لم تنبس شفتي بلفظها وزاد في كرمه ، أتراه يرد دعوات يُلح لساني بنطقها ؟!

حاشاه..

لنطلق سراح أمنياتنا من قضبان صدورنا.. مهما بلغ حجمها.. ولا نسأل كيف ستتحقق، ولا متى ؟!

فإننا نتعامل مع الكريم الوهاب الجواد الذي إذا أعطى أفاض وجاد .. نسأل الله من فضله..

وقد صح في الأثر :

« إِذَا تَمَنَّى أَحَدُكُم فَلْيُكثِر، فَإِنَّمَا يَسأَلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلّ»

لكم أخجلني الكريم بكرمه فله الحمد حتى يرضى.. وكم أراني في تدبيره وتقديره ما زاد يقيني بأن اختياره سبحانه أفضل اختيار وأهناه.. وكم أراني سبحانه في ذاك الموقف آثار أسمائه الحسنى وصفاته العُلا،مما زادني معرفة بمعنى المقدم المؤخر، القابض الباسط، المعطي المانع،اللطيف، الحكيم، الفتاح،العليم، الرب.. ذكرت قصتي لتشرئب الأعناق وتتطلع النفوس لأعطيات الكريم الوهاب مهما أغلقت دونها الأبواب.

فلكم إِلهي قد شهدتُّ لفيض لطفك من عوائدْ

وخفيٌّ لطفك يستعان به على الزمن المعاند[1]

(١) إسماعيل الزمزمي



ضيافة الملك

حين يناديك ربك لبيته.. ويدعوك لضيافته..دون أي تخطيط أو ترتيب.. ذاك الشرف والسؤدد.

في صباح يوم التروية الثامن من ذي الحجة يودّعها ابنها ميمّمًا وجهه نحو مكة حاجًا ملبيًا.. وقد سبقته أخته ووالدها بيوم..

اتصلت بها ابنتها الكبرى بعد صلاة المغرب وهي بمنى قبل محاضرتها لتدعو لها بالفتح وأن يجري الله الخير على لسانها ليصل من قلبها إلى قلوب ضيفات الرحمن، وهذا ديدنها قبل أي درس تعقده أو محاضرة تلقيها تخبرها لتستحضر معها الأجر فهي من كَسْبها وحسنة من حسناتها.. وتشرف بدعواتها الصادقة.

قالت لابنتها شاكية: حتى الآن لم أفرغ من قراءة أذكار المساء لإزعاج إخوانك وكثرة طلباتهم أصلحهم الله، ياليتني معكم.

واستها ابنتها بأنها معهم بالأجر فما قطعوا واديًا ولا سلكوا فجًا إلا كانت معهم بأجره ما حبسها عن اللحاق بهم إلا أمانة الأبناء.

أغلقت الهاتف وشرعت في محاضرتها مذكرة نفسها والحاجّات معها بكرم الله عليهم حين قادهم لبيته واصطفاهم لشرف ضيافته وفرغهم لعبادته، وذكرت

حال والدتها ومكابدتها لصغارها لتحفز الحاجّات على اغتنام دقائق البعد عن الأبناء وعن المشاغل والملهيات.

أُحضر العشاء بعد المحاضرة ثم خلد الحجاج للنوم، فموعدهم غدًا مع مالك الملك في عرفة الطاهرة، والله يدبر أمر والدتها من حيث لا يعلمون، ليرزقها مالم يخطر لهم على بال.

حين أنهت اتصالها بابنتها فتحت التلفاز لتشاهد أفواج ضيوف الرحمن ملبين منكسرين بين يدي خالقهم.

زاد شوقها وحنينها لبيت الله وانطلق لسانها بالدعوات أن يكتبها الكريم مع حجاج العام القادم.

بعد صلاة العشاء جاءها زوج ابنتها ليسلّم عليها قبل سفره للحج، وكان آخر من سيسافر من محارمها، فقالت له مازحة: ألا يوجد لي مقعد بالطائرة؟

قال لها : قبل ساعة لم يكن هناك مقاعد، لكن لا بأس سأعيد النظر الآن فلعلّ الله ييسر،

فتح جواله وأخذ يبحث، وإذ بالبِشْر يعلو وجهه وتبرق أساريره، أبشرك ياخالة! وجدت مقعدًا واحدًا وسأحجزه!

فبادرته قائلة: انتظر ياولدي دعني أفكر وأستخير وأستشير زوجي!

أنطق الله ابنتها لتُحمِّسها: يا أمي لا وقت للتفكير سأذهب أرتب حقيبتك.

قال زوج ابنتها : ياخالة الموضوع يسير جدًا وخالي بإذن الله لن يمانع.

قالت لهما : إذن سأستخير واستئذن زوجي.

ذهبت تصلي ثم اتصلت بزوجها، وكان رده : استخيري وتوكلي على الله.

لكن الشيطان لم يتركها، فقد توعد بالغواية والتثبيط وقطع الطرق الموصلة لمرضاة ربنا.

جاءها بلباس الناصح المشفق كيف تتركي أبناءك؟! كيف تفرّطي في الأمانة؟!

لا والد عندهم يتابعهم ولا والدة تراقب ذهابهم وإيابهم!

من يوقظهم للصلاة إذا ناموا؟! من يتكفل بطعامهم و شرابهم ؟!

كيف بهم يوم العيد لا أب ولا أم ؟!

كيف تطيب نفسك بتركهم ؟!

لاتخلطي! فرعايتهم واجبة وحجك نفل.

وبعد جولة طويلة من وساوسه نعوذ بالله من شرِّه ، أعلنت أنها لن تذهب!!!

– جزى الله الأمهات والآباء عن أبنائهم خيرًا، فكم ضحوا لأجلهم، وكم تنازلوا عن ما تهفو إليه أفئدتهم لمصلحة أبنائهم، تولى الكبير المتعالي مكافأتهم بالحسنى وزيادة–.

علم باقي البنات بتردد أمهم، فبدأن بالتحفيز مرة أخرى.

فقالت الأولى : لا تقلقي على أبنائك سأطعمهم مما أطعم أبنائي.

وقالت الثانية : سأبقى عندهم وأتابعهم وأوقظهم للصلاة ولن أذهب أنا وشقيقتي حتى يعود أزواجنا من الحج، ونظن أنك ستعودين قبلهم، وسنرعاهم أحسن رعاية.

كلها أربعة أيام بإذن الله لا تقلقي عليهم، استودعيهم الحافظ الحفيظ سيحفظهم لك حين تركتِهم لأجله.

لان قلبها مرة أخرى، وازداد شوقها وحنينها لتلبية داعي الله، فآخر حجة لها

قبل ١٢ سنة، وكل سنة تنوي فيها الحج تتذكر أمانة الأبناء فتحجم.

قالت كلمتها الأخيرة بعد أن سد الله عليها جميع منافذ الشيطان.

توكلوا على الله واقطعوا التذكرة!

الساعة ١١ قطعت التذكرة.

الساعة ٢ صباحا أنهت ترتيباتها وأغلقت حقيبتها.

وقفت بين يدي ربها في مصلاها لتوتر فاجتاحتها موجة بكاء خجلًا من كرم الله عليها، وفرحًا وشوقًا للمشاعر الطاهرة.

كل هذا حصل وابنتها الكبرى لا تعلم عن شيء البتة.

خرجت ابنتها من الخيمة في منى الساعة ٣ والنصف لتتوضأ استعدادًا لصلاة الفجر.

سبحان من يدبر الأمر! ها هو والدها عائد من المغاسل تقطر لحيته، وليس في تدبير الله صُدَف، وإنما هي أقدار مقدرة بحكمته وعلمه، سلّمت عليه، رد السلام وأردف قائلًا:

أبشرك أمك ستحج !

لم تستوعب ما قال !

قال: ما بلغوك أخواتك هل خرجت للمطار أو لا ؟!

أمسكت بيده تتحسسها لتستوعب هل هي في حلم أو يقظة!

علم أنها لم تدرك قوله.

قال : يا بنتي ربي كريم.

قالت : كيف ومتى وما الخبر ؟!

قال : لعل الله علم صدق أمنيتها فحققها لها.

قالت : ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا ﴾ [الأنفال: ٧٠].

توضأت وعادت للخيمة أسرعت لجوّالها، فناداها داعي الخير في نفسها مذكرًا أنها في الثلث الأخير، ومدبر الأمور في السماء الدنيا يقول : هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟

وأحوج ما تحتاجه الآن أن يكرم الكريم والدتها بتيسير حجها ويقبله منها.

فلن يفيد اتصالها بهم ولن يغني تواصلها معهم شيئًا.

فاتصلت بالكريم سبحانه الذي لايخيب من رجاه ودعاه وأمّله.

الساعة ٩ صباح اليوم التاسع من ذي الحجة يوم عرفة، والدتها في مطار الطائف، نظر لها زوج ابنتها قائلا : الحمدلله على السلامة اجتزنا أول عقبة !

قالت له: أي عقبة ؟!

قال: مع العجلة أثناء الحجز سجلتك باسم عائلة ابنتك، ولم أكتب اسم عائلتك! وخشيت أن يردونا في المطار لكن الله سلم!

قالت له : يا ولدي من يسّرها سَيُيَسّر ما بعدها﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

كان ابنها في استقبالهم والفرحة تسكن كل جوارحه بأن يكرمه سيده ومولاه بتحجيج أمه، أمنية طالما تمناها، وها هو الجَوَاد سبحانه يحققها له.

الساعة ٢ ظهرًا هُم على صعيد عرفات...

ما أكرم الكريم حين يمن على عبده برزق لم يخطط له ولم يسع في تحقيقه وكسبه!

مـا أجـود الجواد حين يعجل لعبد فـي تحقيق أمنياته ويسـتجيب له دعواته، هي دعت أن تحج العام القادم، لكن الوهاب عجّل تحقيق أمنيتها.

واختيار الحكيم العليم لعبده خير من اختياره لنفسه.

اتصلت بها ابنتها لتطمئن على وصولها فأخبرتها أنها بعرفه! ، لم تملك دمعتها وخرت ساجدة شكرا لمولاها، هنأها من حولها دون علم لهم بسبب فرحها.

سبحان من يعطي المنى بخواطرٍ... في القلب لم ينطق بهن لسان

أراها المتفضل المنعم ما لم يخطر ببالها، فلم ينطلق لسانها بعرفة بالدعاء بتحقيق الأمنيات والأهداف كما هو المعتاد، بل لهج اللسان بتفويض الأمور للحكيم الخبير الذي يعلم ما يسـعد عبده ويقومه ويصلح دينه ودنياه، دعاؤها كان له نكهة مميزة، استمدت لذة طعمه من لذة عطائه وكرمه لوالدتها بتيسير حجها.

يـا مـن مددتـم إلـى الرحمـن أيديَكـم
لقـد وقفتـمْ بمـن لا يغلـقُ البَابَـا
سـتبلغـون أمانيكـم بقـدرتـه
هـذا هـو الله ! مـن نـاداه مـا خـابا[1]

في مزدلفة أخبرت رفيقاتها بالخبر، تباينت ردود أفعالهم:

مابين مهنئة.

ومابين مكبرة.

ومابين مستفهمة متعجبة!!

فـي أول أيـام التشـريق يفيض عليها الكـريم بكرمه ، ها هي قـرة عينها وبهجة

(١) د. محمد المقرن

فؤادها تزورها لتكتمل فرحة عيدها، رآها الحاجات تسلم على تلك المرأة الغريبة عنهم بحرارة بالغة،

التفتت إليهن لتشبع فضولهن وتكسر عجبهن بقولها : هذه أمي قرة عيني!

بلسان واحد قلن متعجبات :

ألم تخبرينا يوم التروية بعد المغرب أنها قالت: لم أنته من أذكاري يا ليتني كنت معكم!

قالت لهن : بلى أذكر تلك الجملة جيدًا.

لكن الذي يعلم خفايا الصدور علم صدق رغبتها في الحج فيسره لها من حيث لاتحتسب،

ذلكم ربنا!

ماقدرناه حقًا!

ولاعظمناه صدقًا!!

ولازالت فضائل ربنا وفيوضات إحسانه تترى، أبى أن تحج مع والدتها في نفس العام دون أن يقيما ولو نسكًا من مناسك الحج مع بعضهما.

ها هم ظهر اليوم الثاني عشر ينزلون من القطار هدفهم المرجم.

جوّال والدها سلّمه الله يرن.

المتصل والدتها سلمها الله: نرى لافتات حملتكم، أين أنتم؟!

﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

ويجمعهم الله عند المرجم، ليرموا الجمرات سويًا ويقفوا بجوار بعض ليدعوه.

الأب ثم البنت ثم الأم ثم الابن

يالله!

أحلم.. أم خيال..؟!

بل هو أعظم من ذلك! نعمة لاتخطر بالبال حتى يتمنوها!!

ولا تمر بطيفيهم حتى يتخيلوها.

لكن الجَوَاد إذا أعطى أدهش بعطائه، وجاد في نعمائه، وأجلّ الأرزاق التي يهبها الوهاب لعباده، هبة الطاعات، ورزق العبادات.

تاهت كل الدعوات في ذاك الموقف ولم يبق سوى الحمد والثناء، لمن خيره إليهم نازل، وشرهم إليه صاعد.

لو تنطق الجمرات لنطقت كل بقعة منها بدعوات لهج بها لسان ابنتهم بتفريج هم والديها في السنوات الماضية.

وها هو الجبار العظيم بعد تفريجه لكربهم، يجبرها وأمها وأبيها وأخاها في موطن من المواطن التي لهجوا بالدعاء فيه بتفريج كربهم.

وها هي تسطر لنا تلك النعم وذاك الجبر ممتثلة قول الحق ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾.

أبشر يا صاحب الهم فعمّا قليل سيغادرك، وستُجبر جبرًا فوق خيالك وأمنياتك، ثق بكرمه، ثق بوعده، فما خاب من رجاه، ولا خسر من أمله ودعاه.

المحتويات

تم بحمد الله